جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

ظاهرة الإبداع الشعرى عند الشعراء السود (عنترة أنموذجاً)

الدكتورة

إيمان عصام خلف كامل

المدرس بقسم الدراسات الأدبية ـ كلية دار العلوم
جامعة المنيا ـ جمهورية مصر العربية

العدد الرابع والعشرون
للعام ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م
الجزء الثامن

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

ظاهرة الإبداع الشعرى عند الشعراء السود (عنترة أنموذجا)

إيمان عصام خلف كامل

قسم الدراسات الأدبية ـ كلية دار العلوم - جامعة المنيا ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: Emanessm89@yahoo.com

الملخص

إن الإبداع بوجه عام يرتبط بالصورة فهما وجهان لعملة واحدة ، فالصورة أساس الشعر وأي ظاهرة شعرية وجدانية كانت أم فنية تكون الصورة جزءًا لا يتجزأ منها فحينما تتواجد الصورة يتواجد الإبداع .

وإذا نظرنا إلى الشعر نجده حالة إبداعية راقية من خلالها يعبر الشاعر عن ما يدور فى عقله ويتخلل مشاعره ، فالإبداع عملية لا تُبْتَكر من فراغ بل نتيجة لعوامل مؤثرة تلك العوامل هى العامل الرئيس لخلق الإبداع عند الشاعر كما يرى أحد النقاد ، والإبداع فى لحظة ولادته أو فى لحظته الأولى يكون موازنه بين ما يحتاجه الروح والجسد ، الواقع والحلم ، الشدة واللين وكان أصدق وأفضل مكان لظهور الإبداع هو الشعر مُتَجسدا فى الصورة المعبرة عن البيئة وأركانها وهمومها .

فالشعر مكمن الإبداع ، وتجلى الإبداع فى الشعر الجاهلى من حيث معانيه وأخيلته ولغته يدل على رقى عقلي وصفاء ذهنى وعناية فنية ومهارة فى الصناعة الشعرية وصياغة معانيه وصوره

وكل ذلك مرتبط بالموهبة فالإبداع يكون وليد لحظة معينة تتفجر فيها كل طاقات الشاعر مع تواجد الموهبة فى الشعر فيظهر الإبداع بما يحمله من مهارة فى توضيح ما يقع على الشاعر من مؤثرات جعلت هذا الإبداع يتمحور ويتبلور فى شعره فسواء كانت هذه المؤثرات نفسية أو اجتماعية أو اضطهاد أو غربة أو حب أدت جميعها إلى ظهور الموهبة مع الإبداع .

الكلمات المفتاحية : الإبداع ، عنترة ، الشعراء السود ، ظاهرة الإبداع ، الشعر الجاهلي .

Poetic creativity phenomenon among black poets (Antara as a model)

Eman Essam Khalaf Kamel
Department of Literary Studies - Faculty of Dar Al Uloom - Minia University - Arab Republic of Egypt.
Email: Emanessm89@yahoo.com

Abstract

Creativity in general is thanks to the image, they are two sides of the same coin. The image is the basis of poetry and any poetic and emotional phenomenon, whether artistic or artistic. The image is a part of which it does not do.

And if we look at poetry, we find a state of creativity that is elegant from that the poet expresses what is going on in his mind and permeates his feelings, creativity is a process that is not invented from a vacuum but rather as a result of influencing factors those factors is the main factor of creativity when the poet sees as one of the critics, creativity in the moment of his birth or in his moment The first is a balance between what the soul and body need, reality and dream, intensity and softness and the best place for the emergence of creativity is poetry embodied in the image expressing the environment and its pillars and concerns.

Poetry is the place of creativity, and creativity is manifested in pre-Islamic poetry in terms of its meanings, its imagination, and its language indicates mental sophistication, mental clarity, artistic care and skill in poetic industry and the formulation of its meanings and images

All of this is related to talent, because creativity is the result of a specific moment in which all the energies of the poet erupt with the presence of talent in poetry in the creative appearance, with the skill that it brings to explain the influences on the poet that make this creativity centered and crystallized in his poetry, whether these psychological or social influences or persecution Or alienation or love all of them to the emergence of talent with creativity.

Keywords: words: creativity, Antara, black poets, the phenomenon of creativity, pre-Islamic poetry.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولا : الإبداع :

إن الإبداع بوجه عام يرتبط بالصورة فهما وجهان لعملة واحدة ، فالصورة أساس الشعر وأى ظاهرة شعرية وجدانية كانت أم فنية تكون الصورة جزءًا لا يتجزأ منها فحينما تتواجد الصورة يتواجد الإبداع .

وإذا نظرنا إلى الشعر نجده حالة إبداعية راقية من خلالها يعبر الشاعر عن ما يدور فى عقله ويتخلل مشاعره ، فالإبداع عملية لا تُبْتَكر من فراغ بل نتيجة لعوامل مؤثرة تلك العوامل هى العامل الرئيس لخلق الإبداع عند الشاعر كما يرى أحد النقاد " بأن الصورة تشكل محفزات الإبداع وركيزة مهمة فى عملية الخلق الشعرى ، بعد أن ينفعل الشاعر بشئ ما ترك أثره على نفسه وألهب عواطفه وأيقظ أحاسيسه وتفاعل معه ، فتتوالد المعاني وتنهال عليه المفردات ، وتتناغم مع ذات الشاعر وتبدأ الموهبة الشعرية عملها حتى يكتمل بناء القصيدة ". (١)

والإبداع فى لحظة ولادته أو فى لحظته الأولى يكون موازنه بين ما يحتاجه الروح والجسد ، الواقع والحلم ، الشدة واللين وكان أصدق وأفضل مكان لظهور الإبداع هو الشعر مُتَجسدا فى الصورة المعبرة عن البيئة وأركانها وهمومها (٢) .

---

(١) انظر إلى : محفزات الإبداع فى الشعر دراسة فى التجربة الشعرية المعاصرة – عبد الهادي صالح – ط١ – ص٨٥ بتصرف– المركز الثقافى العربى – بيروت – لبنان – ٢٠١٦م.

(٢) الخطاب الإبداعي الجاهلة والصورة الفنية (القدامة وتحليل النص) – عبدالإله الصائغ – ط١– ص٢٦٤ ، ٢٦٥ بتصرف – المركز الثقافى العربى – الدار البيضاء – المغرب – ١٩٩٧م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ورأى ابن سلام الجمحى فى تبرير تفضيل امرئ القيس على شعراء طبقته بأنه " ما قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها ، واستحسنها العرب ، واتَّبَعَه فيها الشعراء "(١) ، وانتهى علماء اللغة والأدب إلى تعريف الإبداع بأنه السبق والابتداء ، وأنه القول أو العمل غير المسبوق ، وأنه الاختراع أو التخليق على غير مثال سابق.(٢)

فالشعر مكمن الإبداع ، وتجلى الإبداع فى الشعر الجاهلى من حيث " معانيه وأخيلته ولغته يدل على رقى عقلي وصفاء ذهنى وعناية فنية ومهارة فى الصناعة الشعرية وصياغة معانيه وصوره " (٣)

وكل ذلك مرتبط بالموهبة فالإبداع يكون وليد لحظة معينة تتفجر فيها كل طاقات الشاعر مع تواجد الموهبة فى الشعر فيظهر الإبداع بما يحمله من مهارة فى توضيح ما يقع على الشاعر من مؤثرات جعلت هذا الإبداع يتمحور ويتبلور فى شعره فسواء كانت هذه المؤثرات نفسية أو اجتماعية أو اضطهاد أو غربة أو حب أدت جميعها إلى ظهور الموهبة مع الإبداع .

فالشاعر يترجم كل ما يحمله داخل ذاته على هيئة إلهام يجسده فى مجموعة من الصور والأخيلة التبرهن وتبرز حجم المعاناة المرتبطة بحيثية الزمان والمكان والمجتمع على حد سواء.

---

(١) طبقات فحول الشعراء – محمد بن سلام الجمحى – ت:محمود محمد شاكر – ط١ – ص٥٥ – مطبعة المدنى – القاهرة .

(٢) للمزيد انظر إلى : لسان العرب – ابن منظور – ت:عبدالله على الكبير وآخرين – (مادة بدع) – ط١ – ص٢٢٩ – دار المعارف – القاهرة – " ب .. ت "،
– المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر – ضياءالدين بن الأثير – تقديم وتعليق: أحمد الحوفى وبدوى طبانه – ط٢ – ج٢ – ص٧ – دار نهضة مصر – القاهرة .
– نظرية الأدب – أوستن وارين ورينيه ويليك – ترجمة محى الدين صبحى – طبعة المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية – ص١١ – ١٩٧٢م .

(٣) الشعر الجاهلى خصائصه وفنونه – د. يحيى الجبورى – ط٢ – ص٤٦ – بيروت – لبنان – ١٩٧٩م .

ثانيا : اللون وتحولاته :- " ظاهرة الإبداع الشعرى "

للشكل واللون أثر على حياة الإنسان منذ أن خلق الله آدم وذريته ، وطبيعة اللون – على وجه الخصوص – تترك أثرا نفسيا ، يقع على تصرفات الفرد وسلوكياته .

ومن ثم فإن الولوج إلى عالم النص للوقوف على ظاهرة الإبداع الشعرى ، تستدعى المثول أمام اللون ، حيث إنه سبب رئيس فى الحالة النفسية عند الشاعر ، وهذا أمر يُلْحَظُ عند الشعراء السود – بوجه عام – والشعراء العبيد – بوجه خاص – فجاءت تعبيراتهم مناهضة لعادات المجتمع من حيث التمييز اللونى بين البشر ، فاللون على كافة أشكاله خَلْقٌ من الله "عز وجل " ، والسواد والبياض هما الوجهان الأبرز للون ، فيهما يتعاقب الليل والنهار ، ومنهما تأتى فكرة الزمن والسنين والحساب ، والإنسان بطبعه جُبِلَ على تذوق الجمال فقد " اهتم باللون واتسمت عَلاقَتَهُ بما حوله من ألوان بالطابع الرمزى ، فكل لون رآه وأصبح جزءًا من خبرته الحسية ، له مدلوله الذى يميل إليه " (١)

ولم يتوقف الأمر عند هذا البعد ، فقد اكتسب اللون دلالات اجتماعية ونفسية جديدة إلى جانب دلالتها الحقيقة ؛ ويعود ذلك إلى تلك الترسبات الطويلة أو الارتباطات بالظواهر الكونية ، أو الأحداث المادية ، أو بتعبير أدق كما رأى أستاذنا " الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر " – رحمه الله – "

---

(١) ألفاظ اللون – دلالاتها عند العرب – مجلة البحث العلمى – عدد٣ – مجلد ٣٣ – ص ٤٤١ – الجامعة الأردنية – الأردن – ٢٠٠٦م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أن اللون يمللك قدرات تأثيرية، ويحمل إيحاءات معينة تؤثر على انفعالات الإنسان وعواطفه " (١)

لذا كلٌّ إنسان له رؤية إبداعية ترتبط بالعامل النفسى يجسدها عبر تعبيراته ، ويأتى اللون بوصفه وسيلةً من وسائل التعبير المجسد لإحساسه ومزاجه .

ومن هذا المنطلق جاء استخدام الشاعر الجاهلى لِلَّون مرتبطا بأسباب ذات أبعاد نفسية أو دينية ، أو اجتماعية أو ثقافية ... إلخ ذلك .

وكل استخدام يرتبط بمدلول معين وملائما للظروف المحيطة له ، ومجسدا للمكنون النفسى وشعوره المرتبط بهذه اللحظة .

والمدقق فى الأمر يجد أن اللون الأسود على سبيل المثال – لا الحصر – استخدمه الشعراء تجسيدا للحزن والألم والموت ، ومنهم من اتخذه رمزًا للخوف من المجهول ، ومنهم من عَدَّهُ رمزا للتحقير والإزدراء ، والنبذ والتهميش .

بيد أن الشعراء السود – على نحو ما سنرى – استخدموا اللون الأسود للتعبير عن رمز العزة ، والأصول ، وجعلوه كالمسك من حيث التشابه اللونى ، والشفافية والجمال .

إن طبيعة المجتمع الجاهلى بما فيها من طبقية توقفت عند النظرة الازدرائية للون الأسود بوجه خاص ، بتساوى فى ذلك " الشعراء – الحكماء

(١) اللغة واللون – د. أحمد مختار عمر – ط١ – ص ١٩٩ بتصرف – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٨٢م .

– العبيد " بل إن طبقة العبيد من السود وُضِعُوا فى قاع المجتمع[١] ، حيث إن هذا المجتمع نَكَّل بأصحاب اللون الأسود ، واعتبرهم بدون أصل ، وسحب منهم كافة حقوقهم .

وأثر ذلك على كل أصحاب اللون الأسود وخاصة الشعراء ، الذين صوروا لنا حياتهم الممتلئة بجوانب الأسى والظلم والحرمان والقهر ..

وهذا يفسر لنا مدى إخفاق الشعراء السود فى تحقيق أمنياتهم ، وظل الشاعر الأسود فى أيام الجاهلية أسيرا الثورته ، " فقد استمر صراعه مع مجتمعه ولم يبق له إلا أشعاره تُعينه وتساعده على إسقاط تجاربه ، وتطهير نفسه من كثير من شوائب الحياة القبلية التى ضاق بعنفها وشدتها " . [٢]

وقد أورد صاحب المفصل فى تاريخ العرب ما يفيد بأن الظلم والقهر والذل فرضت على السود حياة العبودية لكونهم منبوذين مجتمعيا ، فالعبيد " فى المجتمعات الإنسانية كلها وفى مختلف الأزمنة والعصور ، عانوا ألوانًا شتى من الإذلال والقهر، فقد كان العبد مِلْكًا لصاحبه ، وتحت تصرفه ، يبيعه مرة ويتاجر به تارة أخرى ، دون اهتمام بإنسانيته ". [٣]

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر :
الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى – د. يوسف خليف – ط ١ – ص ١٠٥ إلى ص ١٠٨– دار المعارف – القاهرة – مصر – ١٩٩٦ .

(٢) أشكال الصراع فى القصيدة العربية فى العصر الجاهلى – د. عبدالله التطاوى – ط١ – ص ١٢٨ – مكتبة الأنجلو المصرية – مصر – ٢٠٠٢ م .

(٣) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام – د. جواد على – ج٤ – ص ٣٦٦ : ٣٦٧ بتصرف – ساعدت جامعة بغداد على نشره .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لذا تعددت أنماط القهر عند الشعراء السود ، لم تتشكل فى نمط واحد، فهناك القهر المكانى ، والقهر النفسى ، والقهر الاجتماعى ، والقهر اللونى ، وكلها عوامل تآمرت ضده عبر ظروف اجتماعية ووراثية ، لتنتج لنا شخصية شعرية عكست فى شعرها الكثير من أنماط القهر والألم والاستهلاب ، والدونية والحرمان .

وأمام ذلك أصبح الشعر هو الوسيلة والأداة التى يحاول من خلالها الشعراء السود التعبير عن حقوقهم ، والتلويح بأحلامهم ...

فمنهم " أى الشعراء السود " من كشف فى شعره عن طبيعة ذلك المجتمع ، ومنهم من خرج عليه رافضا لسلوكياته ، ومنهم من حاول أن يحصل على كرامته بقوته وسيفه ، ولعل اختلاف السبل أدى إلى تنوع شعر هؤلاء السود ، وأفرد لنا شعرهم الكثير من الموضوعات التى جسدت طبيعة حياتهم.

فإحساسهم بانتمائهم لطبقة مهانة ومطحونة وذليلة ، ووجودهم على هامش المجتمع لارتباطهم باللون الأسود [١] ، فجّر بداخلهم كل هذه الطاقات الإبداعية المجسدة لواقع مؤلم وحياة مريرة .

وبالتريث أمام أشعارهم وجدت أن لفظ " العبودية " استحوذ على نصيب كبير من أشعارهم وخاصة " عنترة العبسى " و " الشنفرى الأزدى " مما دفعنى لتعقب هذا اللفظ ، وبيان مدى أثره على الشعراء وسلوكياتهم فى الجاهلية .

---

(١) انظر فى ذلك : الشعراء السود وخصائصهم فى الشعر العربى – د. عبده بدوى – ط١ – ص ٢٢٣ : ٢٢٤ بتصرف – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – مصر –١٩٨٨م.

إن عنترة عانى من كونه أسودا ، وينتمى إلى أم ذات لون أسود ، فكانت معاناته ، وإحساسه بالاضطهاد والإذلال ومعاملته معاملة العبيد ، وينظر إليه كعورة فى جبين الآباء[١]، ومن ثم تحول إلى شخص منبوذ فى قبيلته ، وتحمَّل العمل الذى يأنف منه كبار القوم وساداتهم ، فَوُكِّلَ إليه بالرَّعْيِ ، وخدمة القبيلة .

بيد أن عنترة لم يستسلم للعبودية ، أو الرضا بها فوقف متحديا ذلك المجتمع بكل عاداته وتقاليده متجاهلا تلك القيود التى حاول المجتمع تكبيله بها ، وجعل من الإصرار على نيل حقوقه المهضومة الهدف الأسمى فى حياته ، فكان التحدى الواضح لكل العواقب ، نلمح فى قوله : [٢]

أنَا العبْدُ الّذى خُبِّرْتَ عَنْه ... يلاقى فى الكريهةِ ألفَ حرٍّ
خلقتُ من الحديد أشدَّ قلباً ... فكيفَ أخافُ من بيضٍ وسمرِ
وأبطُشُ بالكَمىِّ ولا أُبالى ... وأعلو للسِّماكِ بكلّ فخر
وَيُبصرُنى الشّجاعُ يَفِرُّ منّى ... ويرعشُ ظهرهُ منى ويسَرى

إن عنترة هنا يستخدم مجموعة من الألفاظ التى ترتبط بالقوة ، وفى الوقت نفسه ترتبط باللون الأسود ، وهنا تعظيم لقيمة اللون الأسود ومكانته، وتفوقه على بقية الألوان الأخرى ، إنها أشبه بالمنطق الحجاجى المعتمد على إقناع المتلقى ، فهو عبد " أنا العبد " وهى الصفة التى أطلقها عليه المجتمع .

---

(١) الشعراء الصعاليك – د.يوسف خليف – ص١١٠ .
(٢) ديوان عنترة – ص١٠٨ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولكن هل هناك عبد يوصف بالشجاعة ، فهو يدحض فكرة العبودية بأشكال منطقية .. على النحو الآتى :

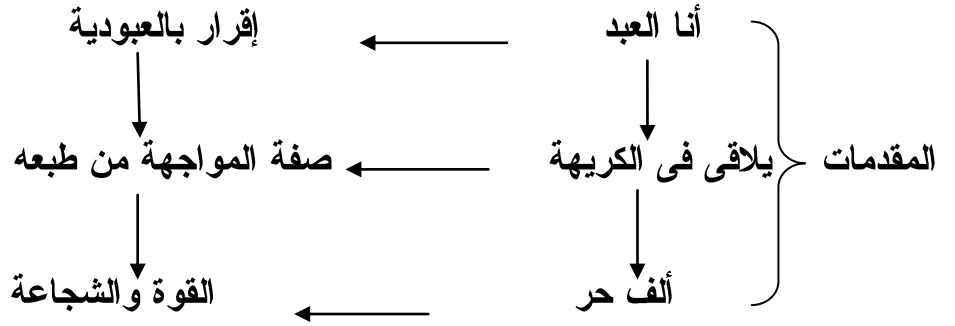

النتيجة : لا يوجد عبد يتصف بهذه الصفات فهو حر ومثله مثل ألف حر .. ومن ناحية اللون :

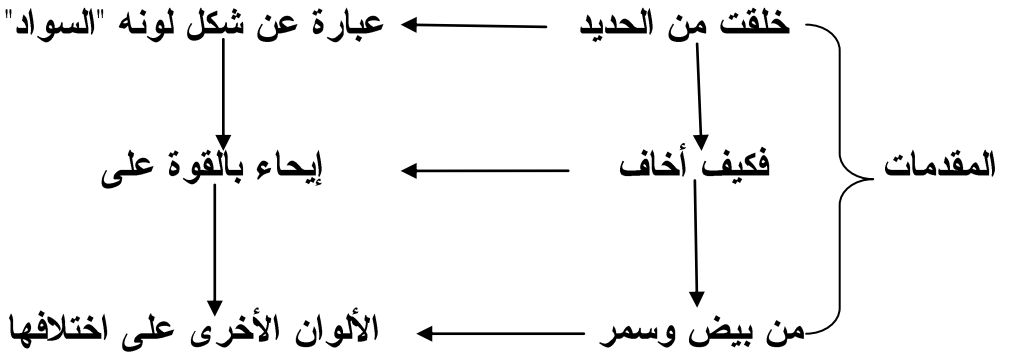

النتيجة : أن اللون الأسود فيه من القوة التى جعلت الحديد مشابها له ، فهو مخلوق من الحديد ، ومن ثم أعطاه الحديد القوة والتى ربطته بالشجاعة التى لا توجد فى ألوان أخرى..

" صفات القوة "

" نتيجة القوة "

يبصر كل من واجهنى
↓
يفر منى ← يرعش ظهره منى ويسرى

إن هذه المقدمات الحجاجية وما ترتب عليها من وسائل إقناعية فى شكل سُلّمٍ حجاجى يأخذنا من منطقة إلى أخرى ، ومن نتيجة إلى أخرى يجسد فى النهاية حقيقة واحدة يسعى إليها عنترة على مدار ديوانه وهى " الحرية " والرفض لكل صفات " العبودية " .

وفى موضع آخر يقول : [١]

إِن كُنتَ في عَدَدِ العَبيدِ فَهِمّتي ... فَوقَ الثُرَيّا وَالسِماكِ الأَعزَلِ

أَو أَنكَرَت فُرسانُ عَبسٍ نِسبَتي ... فَسِنانُ رُمحي وَالحُسامُ يُقِرُّ لي

وَبِذابِلي وَمُهَنّدي نِلتُ العُلا ... لا بِالقَرابَةِ وَالعَديدِ الأَجزَلِ

إن شاعرنا على الرغم من سواده فلديه من الشجاعة والقوة التى تفوق بها على فرسان قبيلته ولديه من صفات الفرسان الشداد الإصرار، فلونه أو عبوديته لم تحط منه بل جعلته فى أعلى الأماكن ارتفاعا حيث النجوم والكواكب وهو لا يحتاج إلى النسب أو القرابة فقوته وفروسيته تدفعه إلى المجد والعلا.

(١)ديوان عنترة – ص ١٩٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهو هنا :

العبيد ← دلالة على ← العبودية

أنكرت فرسان عبس ← دلالة على ← التهميش

ولكن بنظرة إبداعية من الشاعر نجد رؤية مغايرة لما بداخله كالآتى :

فوق الثريا ← دلالة على ← المجد والعلو وليس ذلك من صفات العبيد

سنان رمحى والحسام ← دلالة على ← القوة والشجاعة والثقة على كافة فرسان عبس

إن ذكاء عنترة لم يجعل العبودية قاصرة على اللون فضغوط النفس على صاحبها تجعل منه عبداً ، ومن ثم فقد قاوم " أى عنترة " اللون وكل صفات العبودية بما فيها مقاومة النفس ليصل إلى العلا ، ويتحول إلى رمز للمجد والسؤدد. ويقول الشاعر: (١)

أنا العَبْدُ الذي يلْقى المَنايا غداةَ الرَّوعِ لاَ يخْشى المحاقا

أكُرُّ على الفَوارس يوْمَ حَرْبٍ ولا أخشى المهنَّدةَ الرِّقاقا

وتُطرِبُني سيُوفُ الهِنْدِ حتى أهيمَ إلى مَضارِبِها اشْتياقا

يؤكد عنترة على أنه عبد ولا يرى عيبا أو نقصا فى ذلك فهو فارس قوى لا يهاب الحرب أو الموت ،فالأنا هنا شجاعة متخايلة بقوتها وبأسها وحريتها فى المعركة ، وكل من الأفعال (أكد ، أخشى، أهيم، يخشى) تدل على ذلك فهو سيد نفسه وليس عبدًا لأُحد.

(١) نفسه – ص ١٦٢.

يقول عنترة [١]:

ولَّـــا أوْقـــدُوا نَـــارَ المنايـــا بـــأَطْرافِ المثقَّفَـــةِ العـــوالي

طفاهـــا أســـودٌ مـــنْ آلِ عـــبْسٍ بـــأَبْيضَ صـــارمٍ حَسَـــنِ الصِـــقّال

لقد حول عنترة اللون إلى لون عزة وشجاعة وقوة ، فالأسود هنـــا ممتلئ بالأفعال الحسنة والصفات الجيدة ، فهو بوصفه أسودًا يطفـــئ نـــار الحرب، عكس صاحب اللون الأبيض وهو المتسبب فى إشعال فتيل الحرب .

على الرغم من أن الحياة القبلية جعلت من اللـــون الأبـــيض رمـــزًا للخير، أما اللون الأسود فهو رمز للشر والكراهية ، وهنا برع الشاعر جعل اللون الأسود إشارة تعويضية للخروج مما هو فيه من نقص ليجعلهُ ســـببًا فى إخماد هذه الحرب بينما أكد على أن اللون الأبيض هو السبب فى إشعال الحرب.

الشاعر ← يمثل ← العبودية والازدراء

اللون الأبيض ← (دلالة وإشارة) ← للخير والجمال

اللون الأسود ← (دلالة وإشارة) ← للكره والازدراء والحرب

وهذا هو الشكل الظاهرى لقراءة الأبيات..

أما النظر إلى النص من زواية الارتباط النفسى بـــاللون فقـــد أبـــدع الشاعر فى اتخاذه للون الأسود أكثر دلالة وهى :

الشاعر الأسود ← (دلالة) ← للنصر.

---

(١) نفسه – ص ١٦٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

واللون الأسود ـــــــدلالة←القوة وإطفاء الحرب وإرخاء السلام

واللون الأبيض ـــــــدلالة على←إشعال النار والحرب

وهذه ميزات للون الأسود يتفوق بها على اللون الأبيض

ويقول أيضا :- (١)

أنـا المَـوْتُ إلاّ أنـني غـيرُ صـابرٍ ... على أنْفُس الأَبطالِ والمَوْتُ يصْبرُ

أنا الأَسدُ الحامي حمى منْ يلوذُ بي ... وفعْلي لهُ وصْفٌ إلى الدّهر يُذْكر

إذا مـا لَقيتُ المَـوْتَ عَمَّمْتُ رأْسَـه ... بسَيفٍ على شُرْبِ الدِّما يَتَجَوْهرُ

سَوادي بيـاضٌ حينَ تبْدُو شَمائلي ... وفعْلي على الأَنْسابِ يزْهو ويفْخرُ

أبدع الشاعر فى الأبيات السابقة فقد نجح فى تحويل الصفة واللون الأسود إلى إشارة تعبر عن الفخر والكرامة والشجاعة المنشودة فى ذهن الشاعر ، فالشاعر هنا أبدع بإنشاء معادلا موضوعيا بينه وبين لفظ الموت ولفظ أسد جعل من الموت إشارة لنفسه فهو كالموت حاصد للأرواح ، واختياره هنا للفظ الأسد به إبداع يسلط فيه الدلالات الكامنة بداخل لفظ الأسد ، وهى القوة والحرية والفخر والاعتزاز بالذات ، والشاعر يقيم تعادلا بينه وبين لفظ الأسد ، وهى إشارة تعويضية للخروج مما هو فيه من نقص ، فيتحول من عبد إلى حاصد للأرواح يهابه الفرسان فى الغزوات، ووجدناه يعبر عن نفسه بلفظة (أنا الموت) ، (أنا الأسد) وهنا يتجلى الإبداع فى استخدامه لصيغة " الأنا " التى تجسد العظمة التى يتمناها، وتشكل تجسيدا لقوة الذات ، وحب النفس .

---

(١) نفسه- ص ٩٨.

إن المقصود من صيغة " الأنا " هنا ما يرمز إلى :

أنا ← (الشاعر) ← يرسل رسالة ← هذه الرسالة تحمل فى طياتها إبداع غير ظاهر يوضحه الشكل التالى :

إبداع فى لفظ + إبداع فى لفظ = إشارة

↓ ↓ ↓

الموت الأسد عميق الدلالة

إن رمز الموت ورمز الأسد تحولا إلى دلالة لمفهوم ومعنى القوة والحرية والفخر والاعتزاز بالذات، فقد تحول من عبد مأمور إلى الموت المحقق بل تخطى إلى ما هو أبعد من ذلك ، حيث جعل الموت ذاته رجلا وهو يقتله ، ولا غرو إذا علمنا أنه أصبح كأسد يحمى كل من يلوذ به فيكون مكمنا لأمنه ، فالأسد رمز للحرية وللملكية ولا سلطان عليه ، فارتباط الشاعر برمز الأسد كناية عن شفرة واضحة لإحساسه الداخلى من كونه ملكاً فى ذاته لا يهاب أحدا بل إنه صوته مسموع فى قومه ليتحول إلى رمز لحماية غيره.

وكل هذه المعانى التى يستنطق الأسد والموت من خلالها ما هى إلا إبداع يوضح أهميته ، وما يقوم به من بطولات ، لتتحول صورته من عبد إلى فارس يحصد الموت ويحمى الضعيف.

ويقول أيضاً: (١)

سَوادي بياضٌ حينَ تبْدُو شَمائلي	وفعلي على الأنسابِ يزهو ويفخرُ

(١) نفسه – ص ٩٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ألاَ فلْـيعِش جـاري عزيـزاً وينْـثني	عـدوِّي ذلـيلاً نادمـاً يتحسـرُ
هزَمـتُ تميمـاً ثُـم جنْـدَلتُ كَبْشَـهُمْ	وعُـدت وسيفـي من دمِ القَـوم أحـمرُ
بـني عـبْسَ سُودوا في القبائـل وافْخَـروا	بعبْـدٍ لـهُ فَـوْقَ السِّـماكَيْنِ مِنـبرُ

إن عنترة ينطلق من المتضادات (سوادى × بياض) ليصل إلى حقيقة غفل عنها الكثير بأن سواده فى حد ذاته بياض لأفعاله وشمائله، جاعلا منها أزهى وأعرق من الأنساب التى تفتخر بها قبيلته(١).

حيث كان " للنسب عند العرب شأن كبير ولا سيما البادية ، فعلى نسب المرء فى البادية تقوم حقوق الإنسان، بل حياته فى الغالب فنسب الإنسان هو الذى يحيمه ، وهو الذى يحافظ على حقوقه ويردع الظالم عنه، ويأخذ حق المظلوم منه "(٢)

إن الذات الشاعرة السوداء تشير إلى شجاعته وأفعاله وبياض شمائله ، كانت دافعا لتحقيق سيادة ذاته الشجاعة السوداء موضحا مدى افتخاره بها ، والدفاع عن قبيلته بأسرها، فهو على الرغم من كونه أسود اللون إلا أن هذا اللون منبرٌ وَسُلَّمٌ إلى المجد والعزة والتعالى بين البشر.

لقد تشكلت فنون الإبداع فى الشعر الجاهلى؛" وذلك لزخره بالصور الفنية المتقنة التى تعين الباحث المتأنى فى تكوين فكرة دقيقة عن أولئك

(١) شعر المهمشين فى عصر ما قبل الإسلام (دراسة على وفق الأنساق الثقافية) – هانى نعمة حمزة – ط١ – ص ٧١ – دار الفكر – البصرة – العراق – ٢٠١٣ م .
(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام– جواد على – ط١ – ج١ – ص٤٦٦ – دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – ١٩٦٨م.

الناس ورغباتهم ورهباتهم وقيم الجمال عندهم وأيضا تُعين الرسام ذا الخيال المجنح والوعى الثاقب فى إنجاز لوحات فنية عالية القيمة للأطلال والحسناوات ومجالس الممدوحين ..." [١] ،والإبداع ظاهرة ترتبط بالشعور الانفعالى للشخص وعند إضافة ظواهر وعوامل البيئة والمكانة الاجتماعية تفرض عملية الإبداع لدى الشخص الواقع عليه التفكير أن ينتج من التفكير المعمق لمشكلة ما أو لموضوع ما سواء كانت مشكلة نفسية أم اجتماعية أم عملية أم بيئية ما يجسد هذه المسألة بكل جوانبها.

(١) الخطاب الإبداعى الجاهلى والصورة الفنية (القدامة وتحليل النص) عبدالإله الصائغ – ص٢٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثالثا : السواد / اللون :

النظرة المدققة فى الإبداع الشعرى عند الشعراء السود تتجلى فيما وقع عليهم من ظلم، وقهر ، وألم مما حولهم ، وسواء كانت مؤثرات داخلية أم خارجية فإن الذكريات الأليمة تتكالب عليهم ويهيج عليهم ألم النفس مسيطرا على أفكارهم من الظلم الواقع عليهم فينشدون القصائد التى توضح كل ما تعرضوا له ، فالشاعر وخاصة الأسود نجد مستوى الإبداع عنده مرتفعا ارتفاع طرديا مع الظلم الواقع عليه ليبين مدى القهر النفسى الذى يعيشه ، وكيف استطاع أن يتخلص منه ، وزرع الأمل بداخله ومواساة نفسه وجعل كل ما يمر به هو مجرد عارض فى حياته ، يتغلب عليه بأشعاره وإشعال الأمل داخله بتغير الحال وأنه فى يوم ما سَتُقَدَّر قيمته بين قومه وقبيلته .

ومن المعروف أن الشاعر لديه القدرة على تخيل واقع أفضل مما يعيش فيه ، وهذه القدرة تجعله مبدعا فيما يقوله محاولا نسج الصورة التى يطمح بالعيش فيها والوصول إليها ، فالشاعر الجاهلى إبداعه يمسُّ الواقع والتوقع المستنبط منه، وإذا نظرنا إلى واقعه نجده مليئا بالأسى والظلم والقهر وهذا ما دفعه إلى الحلم بالواقع الخيالى المفترض العيش بداخله، فيرسمه فى أشعاره مع اللوم على ما يمر به ممن حوله ومن خلاله يستطيع توضيح حاله فى زمنه على مر العصورلأن الشعر " يمتلك قدرة بليغة فى التأثر بالمحيط والتأثير فيه حتى لكأنه مرآة الزمان التى يمكن أن يرى الإنسان من خلالها حركة الأشياء فالشعر حقاً ديوان العرب " (١)

(١) الخطاب الإبداعى الجاهلى والصورة الفنية – د. عبدالإله صائغ – ط١ – ص٢٧٥ .

ومن هنا نجد أن الإبداع نجح واستطاع أن يفك مفردات الواقع ويصنع منها هرم التوقّع وتبيين الحالة العامة المسيطرة فيخرج منها الإبداع متمثلا فى الشعر مخاطباَ عامة الناس باللغة المنتخبة والصورة المسيطرة الملحَّه فيشعرون أنه خارج منهم عائد إليهم ، وجاء الإبداع موضحا حجم الواقع الأليم المسيطر على الشاعر فكانت مثل قناة إعلام تسمح برؤية الوضع ومدى تحدى المبدع وإلى أى وضع سيستمر فى الاستجابة لتلك الأمور، ومتى يثور عليها، ونجد أن الإبداع هو المتكأ الذى يتكئ عليه الشاعر فى قضيته وثماره هى نصوص المعركة الظاهر فيها أعلى حالات التصوير والبلاغة واللغة .[١]

وتمثل الإبداع عند الشعراء السود فى توظيف اللون بما يتناسب مع الحالة النفسية المسيطرة عليه فاللون يمنح الحياة والوجود قيمة لا يمكن إغفالها، فهل نتخيل أنفسنا نرى لونا واحدا؟ هل نشعر بلذة الجمال لو اختفت الألوان من الأرض، وأصبحت ترى من غير ألوان؟ عالماً مخيفاً يبدو لك كالصحراء الممتدة أطرافها بلا ماء أو شجر أو ظل أو نهاية؟ إن هذا التخيل يدفع النفس إلى النفور والملل فلا حياة بلا لون؟"[٢] ، يقول د. إبراهيم خليل " الإنسان منذ القدم اهتم باللون واتسمت علاقته بما حوله من ألوان بالطابع الرمزى، فكل لون رآه وأصبح جزءا من خبرته الحسية له مدلوله الذى يميل إلى شئ ، وأن البدائيين الذين لم تصل لهم حضارة كانوا يعتمدون الوشم بالألوان طريقة لرفع الأذى واتقاء الأرواح الشريرة، واتخذوا أيضا

(١) الخطاب الإبداعى الجاهلى والصورة الفنية – د. عبدالإله صائغ – ص٢٨٥ ، ٢٨٦ بتصرف.
(٢) اللون ودلالاته فى الشعر – ظاهر محمد هزاع الزواهرة – ط١ – ص ١٣ – دار الحامد للنشر والتوزيع – عمان – الأردن – ٢٠٠٨م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الألوان وسيلة للتزيين فى مجالات عدة مثل العبادة والطقوس والتعبير عن التفاعل بالعالم الخارجى وما يبعثه من مشاعر فرح أو لذة أو بؤس أو حزن، أما بين الشعراء والرسامين لقد اختلف الأمر فتتمتع الألوان لدى الرسام بوجود بصرى أما عند الشاعر فهى علامات لفظية لا تفتأ تنكر قارئ القصيدة أومن يستمع إليها بوجود بصرى خارجى"(١).

فاللون عند الشاعر هو الملاذ لتوضيح الحالة النفسية المسيطرة عليه، فدلالات اللون" تتغير تبعا للسياق والأثر النفسى والتغير والتحول ، مايتصل بمراحل حياة اللون إذ يتغير اللون ويتحول تبعا لتغير أمور وثيقة الاتصال به"(٢).

ومن ثم ارتبطت دلالات الألوان بمراحل حياته ، وتتغير وتتحول وفقا للتغير النفسى المصاحب لحالة الشاعر ، فيكون سبباً فى إخراج قصائد تحمل فى طياتها لوحة فنية يصور فيها حياته وتجربته وما مر به من تغيرات نفسية وعليه تأتى إلى أهمية اللون لنجده " الأداة الأساسية فى الكشف عن محاور الجمال الفنى فى النص الأدبى فاللون من أهم وأجمل ظواهر الطبيعة، ومن أهم العناصر التى تشكل الصورة الأدبية ، كما يشتمل عليه من شتى الدلالات الفنية، الدينية، الاجتماعية، الرمزية ، الأسطورية".(٣)

---

(١) المزيد من التفصيل انظر إلى : ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب- إبراهيم محمود خليل – ص ٤٤١ – ع٣ –م ٣٣ – البحث العلمى – الجامعة الأردنية – الأردن- ٢٠٠٦م.

(٢) شعر المهمشين فى عصر ما قبل الإسلام دراسة على وفق الأنساق الثقافية – هانى نعمة حمزة – ط١ – ص٥١ – منشورات ضفاف و منشورات دار الفكر – البصرة – العراق – ١٤٣٤ه – ٢٠١٣م.

(٣) الجمال اللونى فى الشعر العربى من خلال التنوع الدلالى – مهدى ممتحن –ص ٨٣ – ع ٩–م٣ – فصلية دراسات الأدب المعاصر– جامعة آزار الإسلامية – كرمسار – ١٣٩٠ه.

كما أن لكل شاعر توجه خاص به ورؤية مستقلة خاصة فى اللـــون الذى يعبر عن حالته ، وتختلف دلالة اللون على حسب " أشياء عديدة فـــى البيئة وفى نفس الإنسان ومن هنا اختلفت الدلالات فتارة يعد اللون الأســـود مصدر جمال وقوة وتارة أخرى مصدر الحزن والخوف".[١]

كما أن اللون الأسود يأتى تفسيره عند أغلب الطبقات تفسيرا نفسيا ، ورأى العالم السويسرى MAX LUSCHERفى قياس الألـــوان أن " اللـــون الأسود من أشد الألوان قتامة ، وفى الحقيقة هو عبارة عـــن نفـــى اللـــون ،واللون الأسود يمثل الحدود المطلقة التى بعدها تتوقف الحياة ، ولذلك فهو يمثل فكرة العدم والانطفاء، والسود يمثل " لا" بينما الأبيض يمثل " نعـــم " ، واللون الأبيض يمثل الصفحة العذراء التى لم تملأها القصـــة بعـــد ، بينمـــا الأسود هو النهاية التى بعدها لا يوجد شئ " [٢] ، وإذا أجمع أغلب النـــاس على أن اللون الأسود هو دلالة على القبح والعماء أو دلالة على الجمـــال ، وهذا ما أبدع فيه عنترة وأفرده فى أشعاره موضحا شتى أنواع الجمال فـــى اللون الأسود وتحويله من اللون المذموم إلى اللون المحبب والمفضل عنـــد عرب الجاهلية عندما قال: [٣]

ومـــا وجـــد الأعـــادى فـــىّ عيبـــاً	فعـــابونى بلـــون فـــى العيـــون

(١) لونيات ابن خفاجة الاندلسى –زهراء زارع خفري– ص ٨٠ – ع ٩ – مجلة دراسات فى اللغة العربية وآدابها– سمنان– إيران – ربيع الأول ١٣٩١ ه– ٢٠١٢م.

(٢)اختبار الألوان وقياس الشخصية – MAX LUSCHER – ترجمة وإعداد : د.أنور رياض عبد الرحيم– ص ٧٣ – ط١– دار حراء – المنيا – مصر – ١٩٨٥م.

(٣) ديوان عنترة – ص١٤٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهذه مسألة حجاجية تظهر مدى جمال اللون الأسود فى العين فعند العرب استحسنوا فى المرأة سواد أربعة " أهدابها ،وحاجبيها ،وعينيها ، وشعرها"[١]،وأكد على ذلك أحد الكتاب الأسبانيين فى قوله "أسرار جمال المرأة العين وحدة البصر وجمال الكحل فى العيون كما هو اللون السائد المحبب فى البادية"[٢]، فشاعرنا هنا يفتخر ويبدع فى توظيف اللون الأسود من كونه لونا مكروها إلى لون محبب عند العرب فيعتزّ بلونه الأسود ويمدح فيه .

وفى أبيات أخرى يُبدِع فى إظهار قيمة اللون الأسود فيصف نفسه بالليل الذى يهابه الأعداء حيث يقول : [٣]

بصارم عَزم لو ضربتُ بحدّه	دُجى الليل ولَّى وهو بالنجم يعترُ
دعونى أجدَّ السعى فى طلب العُلا	فأدرك سؤلى أو أموت فأعذرُ

نجد شاعرنا هنا ينشئُ صورة تحمل فى أطرافها كافة أنواع الإبداع ، فالليل عنده شخصه ويهابه الأعداء بل وينتصر عليهم ويفروا منه ، كما أن ساحة المعركة فى الليل مظلمة ومخيفة ، وهذا إسقاط على نفسه فيبدع فى تصوير نفسه بالليل المظلم فيجعل العدو فارا منه وخاشيا من مواجهته.

ويقول أيضا : [٤]

أنَا العَبدُ الذي يَلْقى المَنايا	غَدَاةَ الرَّوْع لا يَخْشى المَحَاقَا
أكرُّ على الفوارس يوم حربٍ	ولا أخشى المهنَّدةَ الرِّقاقا

(١) ألوان من الجمال والغزل– عبد العزيز جادو – ص١٨– ط١ – دار المعارف – القاهرة – ١٩٩٨م.
(٢) نفسه – ص ١٦، ١٧.
(٣) ديوان عنترة – ص١١٣ : ١١٤ .
(٤) نفسه – ص١٦٩.

الشاعر استخدم هنا الضمير (أنا) لإعلاء الذات وإظهار شموخ نفسه ووجدانه، فشموخه ورفعة همته بأنه العبد الأسود البطل الذى يحارب فى كل المعارك بجانب قومه ويحقق ذاته ويجلب النصر تعبير عن افتخاره بنفسه ، وبقتله الأبطال أعداء قبيلته فلم يكن اللون إلا آداة تحفيزية له لإثبات حريته ووضعه وسط قومه.

وبموضع آخر يقول : (١)

أنـــا الهجـــين عـــنترهْ	كـــلُّ امـــرىءٍ يحمـــي حـــرهْ
أســـــودَهُ وأحمـــــرَهْ	والـــــواردَاتِ مِشـــــفَرَه

ويعقب فى قول آخر: (٢)

إنّي أَنا عَنتَرَةَ الهَجـــينُ	فَجُّ الأَتانِ قَد عَـــلا الأَنينُ
يُحصَدُ فيهِ الكَفُّ وَالوَتينُ	مِن وَقعِ سَيفي سَقَطَ الجَنينُ
عِندَكُمُ مِن ذَلِكَ اليَقـــينُ	عَبلَةُ قَومي تَـرَكِ العُيـــونُ
فَيَشتَفي مِمّا بِهِ الحَـزينُ	دارَت عَلى القَومِ رَحى المَنون

فى الموضعين السابقين يصف عنتره نفسه بالهجين ، واستخدم معها الضمير (أنا) الدال على الشموخ والعلو فالمجتمع يعرف عن الهجين بأنه "لفظٌ يُشْعِرُ معناه اللغوى الدال على اللؤم والخسة بمدى احتقار العرب أبناء

(١) السابق – ص٢١٦.
(٢) السابق – ص١٧٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الإماء " [١]، ولكنه عكس المعنى المتعارف عليه وأوضح أنه لفظ الفخر والقوة والشجاعة ، فهو عنترة الهجين الفارس الباسل القوى، وهو السبب فى الانتصار وقتل الأعداء وحماية قبيلته وجاره وغيرها ....، وتسبب هنا " بفضح زيف النسق السلبى الذى كونه المجتمع عن الهجناء والذى دائما ما كان يسمهم باللؤم والخسة والتشاؤم ، وليُشَيِّدَ بذلك نسقا جديدا عن الهجناء لاغيا النسق الأول وهو ربط الهجنة بمعانى القوة والشجاعة والحزم "[٢]

ويقول أيضا فى لونه : (٣)

شبيهُ اللّيلِ لوني غيرَ أَنّي	بفعلي منْ بياض الصُّبح أَسنى

ويذكر أيضا : [٤]

ومنْ قالَ إني أسْودٌ ليُعيبَني	أُريهِ بفعْلي أنهُ أَكذَبُ النَّاسِ

و كذلك قوله : [٥]

تُعيّرني العِدى بِسوادِ جِلْدي	وبيض خصائلي تمحو السَّوادا

ويكرر المعنى فى قوله :[٦]

وإنْ يعيبوا سواداً قد كُسيتُ بهِ	فالدُّرُّيسترهُ ثوبٌ من الصّدف

---

(١) العصبة القبلية وأثرها فى الشعر الأموى – إحسان النص – ص ١٠٩ – ط١ – دار اليقظة للتأليف والترجمة والنشر، المطبعة التعاونية اللبنانية ، درعون – حريصا – ١٩٦٣م .
(٢) شعر المهمشين فى عصر ما قبل الإسلام – ص ٧٤.
(٣) ديوان عنترة – ص٣١.
(٤) نفسه – ص٢١٧.
(٥) نفسه – ص١٥٨.
(٦) نفسه – ص١٧٣.

كل الأبيات السابقة تعرض فيها الشاعر وعن قصد إلى ذكر لونه الأسود ، قاصدا من وراء ذلك أنه لم يعد اللون المذموم عند العرب بل تحول اللون الأسود إلى أفعال طيبة حسنة، إنه لون مثل الدّر يحتويه صدفة قاسية خشتة صعبة الكسر عند كسرها نجد الدّر الغالى ثمنه، فهو كذلك والكثير لونهم أبيض ولكن نفوسهم سوداء حقوده أما شاعرنا فإن نفسه وأفعاله وخصائله طيبة ودودة شجاعة .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

رابعا : السواد والنفس :

إن إبداع عنترة لم يتوقف عند حدود المعاناة والظروف القاسية التى نشأ فيها فعلى الرغم من سواد لونه إلا أنه كان يفخر بنفسه وينأى بنفسه ويبتعد عن أى شكل من أشكال الازدراء ، وإذا ما نظرنا على مر العصور نجد أن أى عبد قد تُرك فى نفسه القلة والخضوع والذل ، أما عنترة فلا يرى فى نفسه إلا السمو والهمه وتجعله فوق الثريا نلمح ذلك فى قوله:(١)

واختَرْ لِنَفْسِكَ منْزلاً تعْلوبه	أَوْ مُتْ كريماً تَحْتَ ظلِّ القَسْطَل
فالموتُ لا يُنْجيكَ منْ آفـاتِهِ	حصنٌ ولو شيدتهُ بالجنـدل
موتُ الفتى في عزهِ خـيرٌ له	منْ أنْ يبيتَ أسير طرفٍ أكحـل
إنْ كُنْتُ في عددِ العبيدِ فَهمَّتي	فوق الثريا والسماكِ الأعـزل

فشاعرنا هنا يختار الحرية لنفسه ، والكرامة والعزة فيصف نفسه بأنها عالية ، ويرتقى بها حتى يصل لنجوم السماء ، وهى أيضا تبرهن على ارتفاع أكبر من أى نجم يقارب حجمه حجم القمر .

ويقول أيضا : (٢)

سـموتُ إلى العلا وعلوتُ حتى	رأَيتُ النَّجـمَ تَحتي وهو يجري
وقَـوماً آخـرين سَعَوا وعـادُوا	حـيـارى مـا رأوا أثـراً لأثـري

الشاعر هنا يسمو بنفسه ويرتقى إلى السماء ويكون فوق النجوم ، فالصورة الجمالية هنا الارتفاع والسمو النفسى ووضع الشاعر فى أعلى مكان ، ولا يستطيع أحد أن يبلغ منزلته غيره .

---

(١) نفسه– ص١٥٥.

(٢) نفسه – ص١٠٦.

ومن هنا يمكننا القول بأن الشعر كان وسيلة قوية بل عِلمًا يرتبط بالمشاعر والأحاسيس ويكشف عن خفايا الإنسان وأسراره[١] لذلك اسْتَخْدمَ الشِّعْرَ للتعبير عن ذاته وسمو نفسه ، وتوضيح مكانته الأصلية وليس كما يُنْظر إليه من قبل قومه نظرة عبودية وإزدراء وذل .

عنترة هنا شاعر فارس ومن صفات الفرسان التمرد على أى وضع مهين ، والبحث عن الحرية ولذلك نجده " أعلن العصيان الاجتماعى والنفسى ، لما نشأ فيه من ذل العبودية فتمرد على واقعه وثار على أهله وجعل حياته دائما معرضة للخطر وكل ذلط يخالطه الحب والبحث عن حبه والبحث عن حريته فيصبح كل منهما رمزا واضح فى حياته ولكى يجدهم يجب أن يرضى أولا بنفسه وذاته وقيمته ومكانته ومتى فعل ذلك يكون قد وصل مفهوم الراحة الأبدية من كونه إنسان مستقل له شأنه ووضعه فى محيطه الاجتماعى "[٢] ، وشاعرنا عنترة صاحب نفس عزيزة فأبدع فى التعبير عنها وإعلائها حينما قال : [٣]

لا تسقيني ماءَ الحياةِ بذلةٍ	بل فاسقني بالعزّ كأس الحنظل
ماءُ الحياةِ بذلةٍ كجهنم	وجهنم بالعزّ أطيبُ منزل

(١) دراسة نفسية فى شعر عنترة بن شداد على أساس معنى (نظرية أدلر النفسية) – إسحق رحمانى– م٢ – ع٢ – ص٧٠ – مجلة آفاق علمية – إيران – ٢٠١٧م .

(٢) انظر إلى:

- فن الشعر – أرسطو – ت: إبراهيم حماده – ص١٣ بتصرف – مكتبة أنجلو المصرية – مصر – ١٩٢٣م.
- دروس ونصوص فى قضايا الأدب الجاهلى – عفت الشرقاوى – ط١ – ص ٣٧٢ بتصرف – دار النهضة بيروت – لبنان.

(٣) ديوان عنترة – ص٨٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

هنا شاعرنا يفضل تجرع كأس الحنظل بعزة نفس ولا يتجرع كأس الحياة بمهانة وذل، بل جعل كأس الحياة بالنسبه له جهنم وأن جهنم لو عاشها بِعزَّةٍ فهى أطيب منزل، وهنا أبدع شاعرنا فى جعل عزة النفس أهم رمز يطمح إليه ويعيش به فلم يهمه أى شئ غير عيشة الحرية ليظل حر مرفوع الرأس والذات ولديه كرامة وعزة نفس وجاءت كلماته (ماء الحياة – كأس الحنظل – ماء الحياة كجهنم – وجهنم بالعز) دالة على عزة النفس وسموها .

ولم تتوقف صفات النفس عند عنترة عند هذا الحد ، بل علت فوق كل شئ، وفوق ما يتسابق إليه الكرام من عِلْيَة القوم عند تقسيم الغنائم ، حيث تَعِفُّه نفسه وفروسيته من النظر إلى الغنائم .

واكتفى بالسمو والارتفاع فوق سادات القوم بأنه قائد النصر، فأضفى على نفسه صفات القوة والبسالة والشجاعة ، وهذا هو النصيب الأكبر فى الغنائم الذى لا يشاركه فيه أحد من اليشر، فليهنأوا بغنائمهم ، وليفز هو بالمجد والسؤدد ، وهذا أهم نصيب نلمح ذلك فى قوله :[١]

يُخبرْك من شَهدَ الوقيعَةَ أنني	أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنم

لقد أبدع شاعرنا هنا فى وصف مكانته فى الحرب فاختار الأفعال (يخبرك – شهد – أغشى – اعف) دلالة على وضعه الواضح فى المعركة فهو شجاع ويشهد على مهارته كل من فى الحرب وأنه يعف عن اغتنام الغنائم واكتفى بالمجد والسؤدد.

(١) السابق – ص٦٧.

خامسا : السواد / السمو الأخلاقى :

لقد عُرف عن عنترة سمو الأخلاق والعزة والكرامة والشجاعة والشهامة والقوة ، فهو حامٍ للديار والصدق والوفاء والصبر، فكل هذه الصفات تجتمع فى هذا البطل الأسطورى وقد حاول عنترة أن يُظْهِر كل هذه الصفات والقيم الأخلاقية فى أشعاره، وأبدع فى إنشاد أشعار توضح السمو الأخلاقى فى سلوكه ويكفى إعجاب الرسول(صلى الله عليه وسلم) بقوله:(١)

ولقد أبيتُ على الطَّوى وأَظَلُّهُ	حتى أَنالَ بهَ كِريمَ المَأْكَلِ

فقد قال فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) " ما وُصِفَ لِى أَعْرَابِىٌّ قَطٌّ، فأحببتُ أَن أَراهُ إلا عَنْتَرَة "(٢) ، وإذا ما نظرنا نظرة فاحصة ومدققة لتاريخ شاعرنا عنترة نرى أنه عانى كثيرا من وضع العبودية، وتحمل ما يزيد عن طاقة أى بشر على الرغم من كون أبيه من أشراف القوم وأعلاهم ولكنه حارب حتى انتزع حريته وأجبر أبيه على الاعتراف به وحارب من أجل قبيلته ، وانتصر فى كل حروبها ضد أعدائها وأصبح هو الفارس الأول وتحولت سيرته إلى أسطورة على مر العصور ، فأجبر الجميع على الاعتراف بأن لعنترة هوية أصلية فنراه فردا قبليا يدافع عن قبيلته ومتفانيا

---

(١) ديوان عنترة – ص٨٨.

(٢) انظر إلى :

- الأغانى – ابو الفرج الاصفهانى– ط١ – ج ٨– ص ٢٤٠ بتصرف – مطبعة دار الكتب – القاهرة – مصر –١٩٣٨م .
- شعراء النصرانية قبل الاسلام – لويس شيخو – ط١ – ص٧٩٧ بتصرف – دار المشرق – بيروت – لبنان – ١٩٩٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

من أجلها ومضحيا بنفسه ومقاتلا شرسا ضد أعداء قبيلته ، وأبدع عنترة فى إيضاح القيم الأخلاقية فى شعره وإلقاء الضوء عليها، واستعمال ما يفيد فى إبرازاها فى أشعاره.

فالإبداع يكون رد فعل لتحدى الذات " فالتحدى هو التجاوز الذى يواجه به الفعل العقاب والمشكلات التى تحول بينه وغاياته التى يريد الوصول إليها "[١] ، ومن هنا نصل إلى أن التحدى يولّد الإبداع ، وفيما يخص شاعرنا فدرجة إبداعه قد ظهرت فى أشعاره على قدر تحديه لنفسه ولقبيلته وعلاقته بالعالم الذى حوله ، فعلى الرغم من كونه عبدا فلقد أصر وتحدى نفسه وتحرر من أسباب عبوديته ، فجاء تحرره إعلاءً لقبيلته وإثباتا لحقه وذاته .

لذا جاء وصفه لنفسه بالشجاعة والقوة ذلك الوصف الذى رفعه فوق النجوم فهو بيت لا يطاوله آخر فى الارتفاع وهو قيمة لا تعادلها قيمة أخرى، نلمح ذلك فى قوله : [٢]

ولي بيتٌ علا فلكَ الثريَّا	تَخِرُّ لِعُظْمِ هَيْبَتِهِ البُيوتُ

وعن الأخلاق فحدث ولا حرج فقد أخذ عهدًا على نفسه أن يدافع عن قبيلته بالرغم مما عاشه من ألم وحزن وشقاء وجوع وعدم مساواة وهو ما رده بقوله : [٣]

وأحمي حمى قومي على طول مدَّتي	الى أنْ يروني في اللفائفِ أدرجُ

(١) تجارب فى الإبداع العربى – د. جابر عصفور – م١ – ص١٠– مجلة العربى – وزارة الإعلام – الكويت – ٢٠٠٩م.
(٢) ديوان عنترة – ص٣١.
(٣) نفسه– ص٤٥.

وكذلك قوله : [١]

عِنْدَ الوَغى وَمواقِفِ الأَهوال	نفْسي وراحِلتي وسائرُ مالي
قَوْمي صَمَامِ لمن أرادُوا ضيْمَهُمْ	والقاهرون لكلَّ أغلبَ صال

هنا جعل من نفسه وماله فداءً لقبيلته ، فتحوله من عبد إلى فارس شجاع مغوار يستحيل التخلى عن أهله وقبيلته ، ويرجع ذلك لتمسكه بأُصوله وجذوره وتذكر أنه قد تربى فى نعمتهم وفى ظلّهم حيث يقول : [٢]

سكتُّ فَغَرَّ أعْدَائي السُّكوتُ	وَظنُّوني لأَهلي قَدْ نسِيتُ
وكيفَ أنامُ عنْ ساداتِ قومٍ	أنا في فَضْلِ نِعْمتِهِمْ رُبيت
وإنْ دارْتْ بِهِمْ خَيْلُ الأَعادي	ونَادوني أجَبْتُ متى دُعِيتُ
بسيفٍ حدهُ يزجي المنايا	وَرُمحٍ صَدْرُهُ الحَتْفُ المُميتُ

ومن جماليات عنترة الشخصية ، قوة صبره ، وتحديه لكل الصعاب التى واجهته فى سبيل ما يصبو إليه ، فقد صبر على أذى قومه ، ورضخ لسوء معاملتهم ، وعاش آلام الذل والإهانة ، متحديا كل ذلك ، فثار وغضب لنيل حقه المهضوم ، وعلى الرغم من كل ذلك فقد دفعته أخلاقه التى تمتع بها دون غيره من التحمل والإرادة والتصميم على الوصول إلى ما يصبو إليه ، فَرَدّ كل هذه الإهانات بالإحسان إلى قبيلته والدفاع عنها ، مما دفعه فى أبياته التالية إلى المقارنة بين سلوكهم وسلوكه ، ودناياهم ورفعته وهو ما رَدَّدّه فى قوله :[٣]

---

(١) نفسه – ص٧٤.

(٢) نفسه– ص ٢٩، ٣٠.

(٣) نفسه – ص٧٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أُعاتِبُ دَهراً لاَ يلِينُ لعاتبِ	وأطْلُبُ أَمْناً من صُرُوفِ النَّوائبِ
وتُوعِدُني الأَيَّامُ وعْداً تَغُرُّني	وأعلمُ حقاً أنهُ وعدُ كاذبِ
خَدَمْتُ أُناساً وَاتَّخَذْتُ أقارباً	لِعَوْنِي وَلَكِنْ أصْبَحُوا كالعَقارِبِ
يُنادُونني في السِّلم يا بْنَ زَبيبةٍ	وعندَ صدامِ الخيلِ يا ابنَ الأطايبِ

لقد تجلى الشاعر فى الأبيات السابقة فاستخدم كلمات مثل (أُعاتِبُ دَهراً ، أَطْلُبُ أَمْناً، تُوعِدُني الأَيَّامُ، عْداً تَغُرُّني ، وعدُ كاذبِ، خَدَمْتُ أُناساً، اتَّخَذْتُ أقارباً، لِعَوْنِي، كالعَقارِبِ، في السِّلم، صدامِ الخيلِ، ابنَ الأطايبِ) هنا يوضح مدى صبره فيوجه عتابا للدهر فلم يجد منه أى رحمة ويرجو أن يخف عليه تقلباته ويأمل بأن يوما ما ستشرق شمس الحرية وينعم بوجوده وسط قبيلته وبأنه رجل حر ، ويجد دائما بأن الأيام كاذبة مثل وعد إنسان كاذب ورغم كل ذلك لا ييأس ، ويتعجب أن كل من خدمهم ومنهم أقاربه كانوا كالعقارب لا يرى منهم غير لسعتهم السامة ، وفى أيام الرخاء يعايروه بلونه الأسود وينادونه باسم أمه وفى أيام الحرب والشدة نظرا لشجاعته وبسالته يعترفون بأنه من قبيلتهم ويجب عليه الدفاع عنهم .

فشاعرنا وما يحمله من خصائل حميدة مثل الصبر والوفاء والانتماء والود والعفة والشجاعة والبسالة لا يجد مقابلها من يعامله برقى بل ما يجد سوى هو الذل والظلم والقهر ومعاملته معاملة قاسة لكونه أسود اللون وكل ما ذكرته من خصال تمحو هذا السواد وتعلى من قدره وقيمته يقول شاعرنا:(١)

وأظهرُ نُصْحَ قَوْمٍ ضَيَّعُوني	وإنْ خانَت قُلُوبُهُمُ الوِدَادا

(١) ديوان عنترة – ص١٥٨.

أعــللُ بالمــنى قــلبا عليلا	وبالصبر الجميلِ وان تمادى
تُعيّرني العِدى بِسوادِ جِلْدي	وبيض خصائلي تمحو السَّوادا

فالصبر هو الوسيلة للتغلب على كافة أنواع الذل سواء أكان جوعا أو مجاهدة النفس أو ما يواجهه من سوء معاملة وغيرها ... أفرد له مساحة كبيرة فى أشعاره وأبدع فى تصويره وانتقاء الكلمات المعبره عنه فقال فى صبره على جوعه وعدم إذلال نفسه : (١)

ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظلهُ	حتى أنال به كريمَ المأكلِ

إذا نظرنا إلى البيت السابق نجده يحمل فى ظاهره وباطنه أعلى درجات الإبداع فهو يرفض كل أنواع الذل ويعلو بذاته وشأنه فهو يصبر على جوعه ويعف نفسه وكل ذلك من أجل الوصول إلى حقه فى كونه إنسانا حراً ينال طعامه بكرامة وعزة.

(١) نفسه – ص٨٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

خاتمة الدراسة :-

هذه رحلة سريعة تناولت من خلالها مفهوم الإبداع ، مبينة مدى انعكاس اللون على حالة وطاقة الشاعر بكل جوانبها الإبداعية والفنية ، وقد حاولت الدارسة تطبيق ذلك على أحد الشعراء السود في أدبنا القديم ، وخاصة " العصر الجاهلى " .

ومن ثم وقع اختيار الدراسة على عنترة بن شداد ؛ لما يتمتع به من قيمة وقامة تجلت هذه القيمة فى لفظه لكل أشكال العبودية ، ورفضه للمهانة والذل والتهميش فتحول إلى طراز فريد ورمز للقوة ، عبرما جسّدَه شعره من تعبيرات وصور وأدوات فنية وازن من خلالها بينه وبين غيره من الشعراء أو الفرسان فى زمنه وعصره وتحول إلى قامة معلومة لدى القبيلة والقبائل الأخرى ، بوصفه فارسا مغوارًا دافع عن قبيلته وحول هزيمتها إلى نصر ، واعتبر فارسا لا يُشَق له غبار ، وبطلا تهابه كل الفوارس ، ومن ثم طغت فروسيته على كل أشكال المهانة التى تعرض لها ، وأوصله ذلك إلى أن أصبح قامة كبيرة بين قومه وبين كل القبائل الأخرى ، وتحرر من الذل والعبودية ، وأصبح مثالا يحتذى به عند كل الشعراء السود والفرسان .

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر :

١- ديوان عنترة بن شداد – شرح د. يوسف عيد – دار الجبل – بيروت – لبنان – ط١ – ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

ثانيا المراجع :

٢- أشكال الصراع فى القصيدة العربية فى العصر الجاهلى – د. عبدالله التطاوى – ط١– مكتبة الأنجلو المصرية – مصر – ٢٠٠٢ م .

٣- الأغانى – ابو الفرج الاصفهانى– ط١ – ج ٨ – مطبعة دار الكتب – القاهرة – مصر– ١٩٣٨ .

٤- الخطاب الإبداعى الجاهلة والصورة الفنية (القدامة وتحليل النص) عبدالله الصائغ – ط١ – المركز الثقافى العربى – الدار البيضاء – المغرب – ١٩٩٧م .

٥- دروس ونصوص فى قضايا الأدب الجاهلى – عفت الشرقاوى – ط١ – دار النهضة – بيروت – لبنان.

٦- الشعراء السود وخصائصهم فى الشعر العربى – د. عبده بدوى – ط١ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – مصر –١٩٨٨م.

٧- الشعراء الصعاليك – د.يوسف خليف – دار المعارف – القاهرة – ١٩٩٦م .

٨- شعراء النصرانية قبل الاسلام – لويس شيخو – ط١ – دار المشرق – بيروت – لبنان – ١٩٩٩.

٩- الشعر الجاهلى خصائصه وفنونه – د. يحيى الجبورى – ط٢ – بيروت – لبنان – ١٩٧٩م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١٠- شعر المهمشين فى عصر ما قبل الإسلام دراسة على وفق الأنساق الثقافية – هانى نعمة حمزة – ط١ – منشورات ضفاف و منشورات دار الفكر – البصرة – العراق – ١٤٣٤ه – ٢٠١٣م.
١١- العصبة القبلية وأثرها فى الشعر الأموى – إحسان النص– ط١ – دار اليقظة للتأليف والترجمة والنشر ، المطبعة التعاونية اللبنانية ، درعون – حريصا – ١٩٦٣م
١٢- فن الشعر – أرسطو – ت: إبراهيم حماده – مكتبة أنجلو المصرية – مصر – ١٩٢٣.
١٣- لسان العرب – ابن منظور – ت: عبدالله على الكبير وآخرين – (مادة بدع) – ط١ – دار المعارف – القاهرة – بدون.
١٤- اللغة واللون – د. أحمد مختار عمر – ط١ – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٨٢م .
١٥- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر – ضياءالدين بن الأثير – تقديم وتعليق: أحمد الحوفى وبدوى طبانه – ط٢ – ج٢ – دار نهضة مصر – القاهرة .
١٦- محفزات الإبداع فى الشعر دراسة فى التجربة الشعرية المعاصرة – عبد الهادى صالح – ط١ – المركز الثقافى العربى – بيروت – لبنان – ٢٠١٦
١٧- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام – د. جواد على – ج٤ – ساعدت جامعة بغداد على نشره

ثالثا: **دوريات** :

١٨- ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب- إبراهيم محمود خليل – م٣٣ – ع٣ – البحث العلمى – الجامعة الأردنية – الأردن- ٢٠٠٦م.

١٩- تجارب فى الإبداع العربى – د. جابر عصفور – م١ – مجلة العربى – وزارة الإعلام – الكويت – ٢٠٠٩م

٢٠- الجمال اللونى فى الشعر العربى من خلال التنوع الدلالى – مهدى ممتحن – م٣ – ع٩ – فصلية دراسات الأدب المعاصر- جامعة آزار الإسلامية – كرمسار – ١٣٩٠هـ.

٢١- دراسة نفسية فى شعر عنترة بن شداد على أساس معنى (نظرية أدلر النفسية) – إسحق رحمانى – م٢ – ع٢ – مجلة آفاق علمية – إيران – ٢٠١٧م .

٢٢- لونيات ابن خفاجة الاندلسى –زهراء زارع خفري – ع ٩ – مجلة دراسات فى اللغة العربية وآدابها- سمنان- إيران – ربيع الأول ١٣٩١ ه- ٢٠١٢م.

رابعاً : -**مراجع إنجليزية مترجمة** :

٢٣- اختبار الألوان وقياس الشخصية – MAX LUSCHER – ترجمة وإعداد : د.أنور رياض عبد الرحيم- ط١- دار حراء – المنيا – مصر – ١٩٨٥م.

٢٤- نظرية الأدب – أوستن وارين ورينيه ويليك – ترجمة محى الدين صبحى – طبعة المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية – ١٩٧٢م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١.	ملخص	٧٨٠١
٢.	Abstract	٧٨٠٢
٣.	أولا : الإبداع :	٧٨٠٣
٤.	ثانيا : اللون وتحولاته :- " ظاهرة الإبداع الشعرى "	٧٨٠٥
٥.	ثالثا : السواد / اللون :	٧٨١٨
٦.	رابعا : السواد والنفس :	٧٨٢٦
٧.	خامسا : السواد / السمو الأخلاقى :	٧٨٢٩
٨.	خاتمة الدراسة :-	٧٨٣٤
٩.	قائمة المصادر والمراجع	٧٨٣٥
١٠.	فهرس الموضوعات	٧٨٣٨